

مراجعات الكتب | Book Reviews

كِتَابُ كَلَامِيٍّ مُقَدَّمٌ لِلْوَزِيرِ نِزَامِ الْمُلْكِ: مُؤَلَّفٌ لِحَفِيدِ ابْنِ فُورَكٍ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ

A Theological Book Presented to Al-Wazir
Nizam Al-Mulk: Authored by Ibn Forak's
Grandson on Theology

حسن أنصاري^(١) | Hassan Ansari

تعليق وترجمة:

محمد مجدي السيد^(٢) | Mohamed Magdy El-Sayed

محمد عبد الرحيم أحمد^(٣) | Mohamed Abdel Rahim Ahmed

(١) المصدر: بررسيهاي تاريخي در حوزة اسلام و تشيخ (دراسات تاريخية في مجال الإسلام والتشيع). د. حسن أنصاري، مكتبة ومتحف ومركز وثائق مجلس الشورى الإسلامي، طهران، ط١/ ٩٣١ هـ. ش (١١٠٢م)، الصفحات: ٧٢٢ - ١٣٢.

(٢) باحث ماجستير، الفلسفة الإسلامية، البريد الإلكتروني: mmad72404@gmail.com

(٣) باحث في التراث الإسلامي، البريد الإلكتروني: tayfor1975@gmail.com

يَذُكُرُ العَلَمَاءُ المَرْحُومَ «زُرَيَابِ خَوْثِي» -فِي مَادَّةِ «ابْنِ فُورَكٍ» مِنْ دَائِرَةِ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ الكُبْرَى (دَائِرَةُ المَعَارِفِ بَزْرَكِ اسْلَامِي) ٤/٤٢١- كِتَابًا مَنَسُوبًا إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ فُورَكِ المَتَكَلِّمِ الأَشْعَرِيِّ المَعْرُوفِ، بِعَنْوَانِ: «النِّظَامِي فِي أُصُولِ الدِّينِ»، نَسَبَهُ إِلَيْهِ حَاجِي خَلِيفَةَ (٢/١٩٦٠)، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ صَنَّفَهُ لِلوَزِيرِ نِيضَامِ المُلْكِ.

والمَرْحُومُ زُرَيَابِ يَرْفُضُ -مُحِقًّا- نِسْبَةَ مِثْلِ هَذَا الكِتَابِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ فُورَكِ قَدْ صَنَّفَ كِتَابًا لوزِيرٍ لَمْ يَفْتَحْ عَيْنِيهِ عَلَى الدُّنْيَا إِلَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ هُوَ بِعَامِينَ أَوْ أَرْبَعَةَ أَعْوَامٍ!^(٤) وَلَمْ يَكُنِ الأَسْتَاذُ زُرَيَابِ قَدْ حَصَلَ عَلَى نُسخةِ هَذَا الكِتَابِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُسَلِّطْ مَزِيدًا مِنَ الصَّوِّءِ عَلَيْهِ.

وَمِنْ حُسْنِ الحِظِّ أَتَيْتُ قَدْ تَمَكَّنْتُ مُؤَخَّرًا مِنَ الظَّفَرِ بِصُورَةٍ مِنْ هَذِهِ النُّسخةِ ضَمِنَ مَجْمُوعَةَ مُصَوِّرَاتِ العَلَمَاءِ البَرُوفِيسُورِ «دَانِيِيلِ جِيْمَارِيه»، وَسَأَحَاوَلُ مِنْ تَمِّ فِي هَذَا المَقَالِ القَصِيرِ-التَّنْبِيهِ عَلَى أَهْمِيَّةِ هَذَا الكِتَابِ.

وَمِنَ الضَّرُورِيِّ قَبْلَ ذَلِكَ أَنْ أُشِيرَ إِلَى أَنَّ الوَزِيرَ نِيضَامِ المُلْكِ، بِسَبَبِ اهْتِمَامِهِ بِالشَّافِعِيَّةِ وَالأَشْعَارَةِ، وَبِسَبَبِ إِنْشَائِهِ لِلْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ، وَارْتِبَاطِ عُلَمَاءِ الشَّافِعِيَّةِ وَالأَشْعَرِيَّةِ بِهِ، فَإِنَّ عَدَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ العُلَمَاءِ كَانُوا يَاقُومُونَ بِتَأْلِيفِ بَعْضِ الكُتُبِ بِاسْمِهِ. وَأَوْضَحَ مِثَالِي لِذَلِكَ: إِمَامَ الحَرَمِيِّنِ الجَوِينِيَّ الَّذِي كَتَبَ كَلًّا مِنْ: «العَقِيدَةُ النِّظَامِيَّةِ»، وَ«غِيَاثِ الأَمَمِ» أَنَّ هُنَاكَ عُلَمَاءَ آخَرِينَ عَاشُوا فِي عَهْدِ نِيضَامِ المُلْكِ كَانُوا مُرْتَبِطِينَ بِهِ، وَوَضَعُوا بَعْضَ الرِّسَالِ وَالکُتُبِ بِطَلْبِ مِنْهُ.

(٤) وَإِلَى مِثْلِ ذَلِكَ ذَهَبَ كُلُّ مَنْ: د. لَطْفِي دُوغَانِ فِي رِسَالَتِهِ بِالدُّكْتُورَاهِ عَنِ مَذْهَبِ الأَشْعَرِيَّةِ حَتَّى أَحْمَدِ بْنِ مُحَمَّدِ الفُورَكِيِّ سَنَةَ ١٩٦٠م. د. مُحَمَّدِ السَّلِيمَانِيِّ فِي مَعْرِضِ تَحْقِيقِهِ لِكِتَابِ الحُدُودِ لِابْنِ فُورَكِ، وَرِيْتَشَارْدِ م. فِرَانَكِ فِي بَحْثِهِ المَوْسُومِ «الأَنْطُولُوجِيَا الأَشْعَرِيَّةِ»، وَوَلْفَرْدِ مَادَلْنِخْ فِي حَدِيثِهِ عَنِ المَاتَرِيْدِيَّةِ، وَخَانَ تَيْبِلِ فِي بَحْثِهِ المَوْسُومِ «بَيْنَ قَرَطِبَةَ وَنِيْسَابُورِ»، وَزَابِيْنِهِ شَمِيْتَكِهِ فِي تَقْدِيمِهَا لِكِتَابِ «المَرْجِعُ فِي تَارِيخِ عِلْمِ الكَلَامِ»، وَغَيْرِهِمْ. (المُتَرَجِّمَانِ)

وقد وردت في «لسان الميزان» (٣٠٤/١)،
 (٣٠٥) معلومات مثيرة للاهتمام حول
 دوره في الفتنة الشهيرة بين الحنابلة
 والأشاعرة ببغداد إبان عصر الوزير نظام
 المُلْك، وهو يعتبره المُحرِّك الأساسي
 لتلك الفتن.

ولا شكَّ أنَّ المؤلفين من الحنابلة
 وأصحاب الحديث لم يكونوا بالظَّبْع
 ينظرون إليه نظرةً وديَّةً، بل كانوا يرمونه
 بشتَّى التُّهْم؛ ومنها: ارتداء الحرير،
 والشَّغْف بالذُّنبا^(٧).

والمسألة المُلفتة للانتباه حوله
 هي استعمالهم في حقِّه تعبير: «لزم
 العسكر»^(٨)، الَّذي يُشير إلى أنَّه كان قد
 لازم نظام المُلْك والسُّلطان السُّلجوقي
 حيناً من الدهر.

وعلى أيَّة حال، فالمؤلَّف الحقيقي

(٧) رُدَّ على ذلك ما ذكره ابن البناء الحنبلي (ت ٤٧١هـ) في
 «يومياته» عن حادثة وقعت بين ابن فورك والحنابلة،
 يقول: «وعرِفْتُ يومَ عَبرِ قاضي القضاة إلى قبر أبي حنيفة
 ليُجِلِسَ أبا طالب، أبا النقيب، ومعه الجماعة، أنَّ ابن فورك
 تكلم بما أنكرته الجماعة، وأسندَ به علي الجَهْل العظيم؛
 وذاك أنَّه قال: «أشرف البقاع ثلاث: مكة، والمدينة»، ثمَّ
 قال: «وهذا الموضِع» -بغْيي قبر أبي حنيفة- فقال بعضُ
 المُتفَقِّهية: «ونسيت أنَّ في الدنيا موضِعاً يُقال له بيت
 المقدس؟! فليئتُ قلتُ: أربَع مواضِع؛ كان أجمل من أن
 تُغَيِّمَ كذبتُك صُراخاً!». انظر: [ابن البناء: اليوميات، ص ٢٠٦].
 (الترجمان)

(٨) ويقولُ الذهبيُّ في المعنى نفسه أنه: «تردَّد مراتٍ
 إلى المعسكر، وكان نظامُ المُلْك يُكرِّمه ويحترمه»: انظر:
 [تاريخ الإسلام، ٤١٩/١]. والمعسكر هذا: كان ميداناً فسيحاً
 بجوار نيسابور أقام فيه الوزير نظام الملك معسكره، وهو
 المعسكر نفسه الذي قصده الإمام الغزالي -بعد وفاة
 أستاذه الجويني- للالتقاء بنظام الملك. انظر: [د. عبد
 الرحمن بدوي: مؤلفات الغزالي، وكالة المطبوعات - الكويت،
 ط٢/١٩٧٧م، ص ٢٢]. (الترجمان)

ومن بين الأشاعرة فإنَّ المؤلَّف
 الحقيقي لنصِّ «النَّظامي» قد كتب كتابه
 أيضاً برَّسم نظام المُلْك كما يتَّضح ذلك
 من عنوان الكتاب. وأهمية هذا الكتاب
 الجدير بالنشر تكمن في أنَّه كتاب في علم
 الكلام، ومؤسَّس على عقيدة الأشاعرة.

في مقالته عن «ابن فورك» يشير
 العلَّامة زرياب إلى حفيد لابن فورك،
 ويورد ترجمةً مُقتضبةً له: اعتماداً على
 «المُنْتَظَم» لابن الجوزي، و«طبقات
 الشَّافعيَّة» للسُّبكي. وسنحاول نحن
 هنا، استناداً إلى مصادر الأستاذ زرياب،
 وبالرجوع أيضاً إلى «لسان الميزان» -الَّذي
 قدَّم معلوماتٍ مهمَّةً تتعلَّق به- أن نترجم
 له باختصار:

هو أبو بكر أحمد بن محمَّد بن الحسن
 الفُورَكِيُّ النيسابوريُّ، سبَّط^(٩) ابن فورك،
 وصُفِرَ أبي القاسم الفُسيْرِيُّ، كان مُستغلاً
 بالتدريس والوعظ في المدرسة النَّظاميَّة
 ببغداد، وكان حَصْماً لِدوِّدًا للحنابلة.

وقد كان قبل ذلك مُقيماً بنيسابور، ولكنه
 انتقل فيما بعدُ إلى بغداد واستوطنها (وربما
 كان ذلك -على احتمال ضعيف- بسبب أحداث
 فتنة الكُندري). وقد وُلِدَ عام (٤٠٨هـ)، وتُوفِّي
 ببغداد في عام (٤٧٨هـ) [انظر: السُّبكي ٧٩/٤؛ ابن
 الجُوزي ١٧/٩ (٦)].

(٩) السُّبُّط: ولدُ البنت. انظر: تاج العروس (س ب ط).
 (الترجمان)

(٦) وانظر أيضاً: تاريخ دمشق لابن عساکر، ٣٧/٢٩١، ٢٩١.

لكتاب «النظامي» -الذي نسبته حاجي خليفة خطأ لابن مُورَك الجَدّ- هو حفيد ابن مُورَك هذا، الَّذِي كان يُعَرَفُ أيضًا بالفُورَكِيّ؛ ينسبُهُ إلى جَدِّه لأُمَّه: ابن مُورَك. وعلى هذا، فقد كان مؤلِّف الكتاب مُعاصرًا للوزير نظام المُلك، وواعظًا في مدرسته، كما كان مُعاصرًا أيضًا لإمام الحرمين الجوينيِّ العالم الأشعريِّ البارز في تلك الحقبة.

وأهميَّة كتابه تنبع من كونه أوَّلًا من أقدم الكُتب الكلاميَّة الأشعريَّة المتوقِّرة بين أيدينا، وثانيًا: أنَّ بمقدوره -مقارنَةً بكتب الجويني الكلاميَّة- أن يوضِّح بشكل صحيح التَّطوُّر الَّذِي شهدته الكلام الأشعريِّ، وانفرادات الجوينيِّ^(٩).

نُسخة الكتاب محفوظة في مكتبة آيا صوفيا بتركيا برقم (٢٣٧٨)، ويحتَمَل بقوة أنَّ هذه النُّسخة كانت هي السَّبب فيما وقع في «كشف الظنون» من نسبة

وقد ذُكر في أحد المواضيع واحدًا من شيوخه يُكْنَى «أبا الحُسَيْن» (الموضوع نفسه ١٠٨/ب). وأبو الحسين هذا لا بُدَّ أن يكون هو أبا الحسين عبد الغافر بن محمَّد الفارسيِّ -مِنُ علماء نيسابور- والَّذِي ذُكر بوصفه شيخًا لمؤلِّفنا في كتاب السُّبُكِيِّ. وربما كان المقصود أيضًا هو شيخه في علم الكلام الَّذِي ذكره باسم أبي الحسن (أبي الحسين) القزاز.

وتاريخ كتابة النُّسخة هو أجز جمادى الآخرة عام ٧٩٠ هـ، وهي تقع في ١٥٦ ورقة. وقد أهدى المؤلِّف كتابه -في مطلعها- بوضوح للوزير نظام المُلك، مادحًا إيَّاه بأوصاف من قبيل: «...العادل العالم،

(١٠) ولم يكن صاحب «كشف الظنون» وحده الَّذِي وقع في هذه النسبة الخاطئة، بل أيضًا إسماعيل باشا البغدادي، وكارل بروكلمان، وخير الدين الزركلي، وعمر رضا خُلَّة، وفؤاد سزكين، وغيرهم. (المترجمان)

وعلَى هذا، فقد كان مؤلِّف الكتاب مُعاصرًا للوزير نظام المُلك، وواعظًا في مدرسته، كما كان مُعاصرًا أيضًا لإمام الحرمين الجوينيِّ العالم الأشعريِّ البارز في تلك الحقبة.

وأهميَّة كتابه تنبع من كونه أوَّلًا من أقدم الكُتب الكلاميَّة الأشعريَّة المتوقِّرة بين أيدينا، وثانيًا: أنَّ بمقدوره -مقارنَةً بكتب الجويني الكلاميَّة- أن يوضِّح بشكل صحيح التَّطوُّر الَّذِي شهدته الكلام الأشعريِّ، وانفرادات الجوينيِّ^(٩).

نُسخة الكتاب محفوظة في مكتبة آيا صوفيا بتركيا برقم (٢٣٧٨)، ويحتَمَل بقوة أنَّ هذه النُّسخة كانت هي السَّبب فيما وقع في «كشف الظنون» من نسبة

وقد ذُكر في أحد المواضيع واحدًا من شيوخه يُكْنَى «أبا الحُسَيْن» (الموضوع نفسه ١٠٨/ب). وأبو الحسين هذا لا بُدَّ أن يكون هو أبا الحسين عبد الغافر بن محمَّد الفارسيِّ -مِنُ علماء نيسابور- والَّذِي ذُكر بوصفه شيخًا لمؤلِّفنا في كتاب السُّبُكِيِّ. وربما كان المقصود أيضًا هو شيخه في علم الكلام الَّذِي ذكره باسم أبي الحسن (أبي الحسين) القزاز.

(٩) أضف إلى ذلك أن هذا الكتاب ضمَّنهُ مؤلِّفه ردودًا جدليَّة تُبيِّن شخصيَّته العلميَّة من ناحية، وتطور المنهج النقدي عند الأشاعرة في القرن الخامس الهجريِّ من ناحية أُخرى. كما تكمن أهمية هذا الكتاب في أنه تضمَّن عددًا من الآراء والنصوص لعلماء من المذهب الأشعريِّ لم تصلنا مؤلفاتهم؛ مثل: الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايينيِّ، ووالده. ومن الممكن أن يُسهم كتاب «النظامي» في إعادة بناء تلك الكُتب المفقودة مع ما تبقى من تراث الأشاعرة الكلاميِّ. ولا يخفى أيضًا أن الكتاب كان في بعض المواضيع بمثابة شرح، أو حاشية، على بعض الأفكار التي أوَّجَّزها بعض الأشاعرة السَّابقين عليه في كتبهم، فتأتي شروحه هُنا وتعالقُه موضحةً للأصل، مُبيِّنةً لقراميه من وجهة نظره. (المترجمان)

بمعاني الألفاظ المتداولة فيما بين علماء الأصول: أي المتكلمين (في معاني ألفاظ تدور بين علماء علم الأصول، الورقة ١٧/أ فما بعدها).

وقد اشتغل في هذا الكتاب بإبطال عقائد أصحاب الطوائع والدّهية بإسهاب، وتناول بالتفنيد والرّد كلامياً مباحث مثل: الاعتقاد بالهَيُولَى والطبائع (٢٤/ب بالنسبة للاعتقاد بالهَيُولَى؛ وانظر أيضاً فيما يتعلق بأصحاب الطوائع: ٣٠/أ - ٣٣/ب).

ومن المسائل المثيرة للاهتمام في هذا الكتاب: اهتمامه الخاص بإبطال عقائد الكراميّة في القضايا الكلاميّة، ولا سيّما قضايا الأسماء والصفات الإلهيّة. وتزايد هذا الأمر لدرجة أنّ جانباً كبيراً من الكتاب يمكن اعتباره -على نحو ما- رداً على عقائدهم^(١٢).

وبالنظر إلى العلاقات المتوتّرة بين الكراميّة والأشاعرة في خراسان إبّان عصر

(١٢) فأشارَ أولاً إليهم [٤٣/ب] بوصفهم من أبرز الطوائف القائلة بالتجسيم؛ يقول: «اعلم أنّ الله تعالى ليس بجسيم، وما خالفنا في هذه المسألة إلا طائفة قليلة من الكراميّة، فإنهم قالوا: إنّ الله تعالى جسم». ثمّ أبان مذهبهم ومقصدهم من هذا اللفظ أي الجسيم. يقول: «وإذا سئلوا عن معنى قولهم إنّ الله جسم، قالوا: إنّما نريد بذلك أنّه شيء، ونحن نجعل لفظ «الجسم» عبارة عن أنّه شيء. واليوم لا يوجد منهم أحد يطبق هذه اللفظة، فتركوا إطلاق هذا القول». ويعترف صاحب «النظامي» أنّ طائفة قليلة منهم هي المُجاهرة المُتمسكة بالتجسيم، وهذا يعني أنّ هناك طوائف كثيرة منهم توافق الأشاعرة في التنزيه، ولا تقترب إلى التجسيم؛ وهذا يعكس الصورة الرّائعة عنهم أنّهم كلهم مُجسّمه (المترجمان)

نظام المُلك والدّولة، قوام الدّين والمِلّة، وزير الوزراء، تاج الوزراء، أتابك...» (الورقة ٣/أ). ولهذا السبب نفسه سمّى المؤلّف كتابه بـ«النّظامي القوّامي الرّضويّ في إرشاد المُبتدئين، إلى قواعد أُصول الدّين» (الورقة ٣/ب).

ونطالع في الكتاب تاريخ «ربيع الآخِر عام ٤٦٥هـ» لِمَنامِ رآه المؤلّف^(١٣)، وهو ما يُشير إلى أنّ تأليف الكتاب كان بعد هذا التاريخ (انظر: الورقة ٨٦/ب).

ويعدّ الكتاب مجموعةً كاملةً نسبيّاً في علم الكلام، بشكل مُختصر بالطّبع، ولا سيّما في الفُصول الأخيرة من الكتاب. وثمّة أجزاء منه تحظى على وجه الخصوص بأهميّة فائقة، سأعمل -إنّ وفق الله تعالى- على نشرها. أمّا هاهنا فسأكتفي بالتعرّض فحسب لبعض دقائق هذا الكتاب.

افتتح في بدايات الكتاب باباً يتعلّق

(١١) تبرّك -على طريقة الصوفيّة- بعدّة منامات رآها وقت تصنيفه لكتابه هذا [١٠٩/ب]، وهي كما يلي: المنام الأول: لَمّا خالف شيخه وأستاذه أبو الحسين الفارسي في مسألة من مسائل الكلام، فلَمّا عاد إلى داره رأى فيما يرى النائم والده الإمام الشهيد (ت ٤٢١هـ)، وحلّ له ما أشكل عليه، ثم علّق ابن مُورك على هذه الرؤيا بقوله: «وإنّما حكيت هذه الحكاية لَمّا فيها ممّا يزداد المؤمن إيماناً؛ لَمّا يعلم من تأييد الله تعالى لأهل الدّين بما يشرح له صدورهم بتوفيق الله تعالى». والمنام الثاني: في حديثه عن أرزاق العباد، يخبرنا بأنه رأى فيما يرى النائم قائلاً يقول له: «لِم لا تستدلّ في هذه المسألة بقول الله تعالى: ﴿اللّهُ أَلَدَى خَلْقِكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُبَيِّنْكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ دَلِكُمْ مَن شِئْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؟». (المترجمان)

عن وجود الكراميّة في بغداد إبان العصر السلجوقي، إلا أنه يتّضح من كون المؤلّف قد صنّف كتابه هذا للوزير نظام الملّك أنّه كان يُريد جذب انتباه الوزير إلى خطر الكراميّة في حُرّاسان، وإثارة قلقه من وجودهم ونشاطهم.

وفيما يتعلّق بعقائد الكراميّة، فهو يناقشها في كثير من المواضع، ومن بينها: القول بالجهة بالنسبة للباري تبارك تعالي، وكونه تعالي محلًّا للحوادث (انظر: ٦٣/ب: ٦٤، وأيضًا ٦٧/أ).

وقد تكلم عن رحلة لابن فورّك إلى هراة (٣٧ ب)، ونحن نعلم أنّ هراة كانت واحدة من المعاقل التي يتمركز فيها الكراميّة. وهو يتحدّث أيضًا عن حوار دار بين جده ابن فورّك والصّاحب بن عبّاد (٨٩/أ).

وعلى هذا النحو أيضًا وردت في هذا الكتاب معلومات جديرة بالاهتمام بخصوص الخلافات الواقعة بين الأشعريّة حول مسألة الصّفات، وتأويل الآيات والأحاديث المتعلّقة بها (مثال: الورقة ٤٧/أ).

ونحن نعلم أنّ صراعًا حامي الوطيس كان محتدّمًا في عصر المؤلّف بين الأشاعرة والحنابلة ببغداد، وهو ما شارك فيه المؤلّف ذاته أيضًا. وقد انعكس هذا الأمر في هذا الكتاب، حيث قام فيه بالردّ على عقائد الحنبلية التّشبيهيّة ونقضها.

السّلطان محمود الغزنويّ وما بعده، فإنّ اهتمام مؤلّفنا بمناقشة عقائدهم يُعدّ أمرًا طبيعيًّا، ولكن إذا تذكّرنا جيّدًا بشكلٍ خاصّ ما جرى في بلاط محمود الغزنويّ من أمورٍ بين جدّه -أي: ابن فورّك المعروف (توفي سنة ٤٠٦هـ)- وبين الكراميّة (كما ذكره في رسالته إلى أبي إسحاق الإسفرايينيّ، ورواه ابن تيمية^(١٣))، فإنّنا نستطيع أكثر أن نفهم ما كان لدى حفيده هذا من حساسيّة.

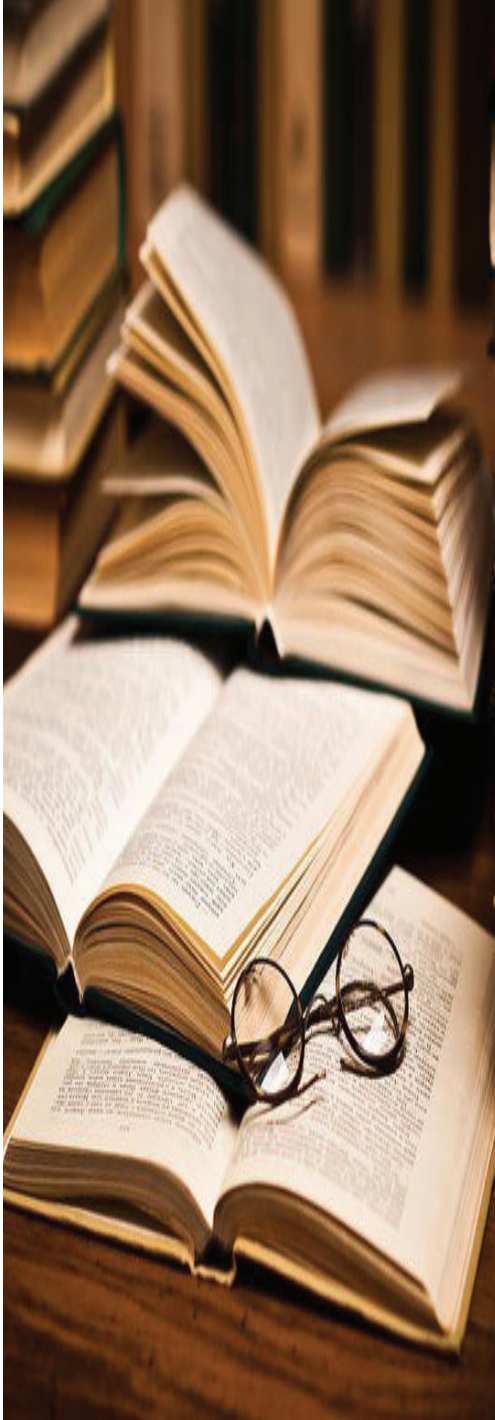
أمّا النّقطة المثيرة للانتباه في هذا الصّد، فهي أنّه ينعت جدّه صراحةً بـ«الشّهيد» (انظر: ٨٩/أ)، وهذا ما يؤيّد شائعة اغتيال ابن فورّك أو تسميمه بأمر محمود الغزنويّ وبتحريض من الكراميّة.

على كلّ حال، فإنّ هذه المعلومة ذات أهميّة كبيرة من ناحية التأكيد على رواية مصادر، مثل: ابن خزّم والسُّبكيّ. بل إنّه يصفُ والده أيضًا -الذي كان صهرًا لابن فورّك، ومن العلماء^(١٤) (انظر: ٨/ب، ٤٣/ب)- بـ«الشّهيد» أيضًا (انظر: ١٠٦/ب). وهو يذكّر أيضًا وجود والده في الرّيّ (انظر: ١٢٨/ب).

وليس بين أيدينا بطبيعة الحال رواية

(١٣) انظر: مقالة الأستاذ زرياب في مادّة «ابن فورّك».

(١٤) انظر أيضًا: المختصر للفارسي، تحقيق: محمد كاظم محمودي، طهران، ١٣٨٤ هـ ش (٢٠٠٥م)، ٢٩٤، رقم (٢١١٦): حيث ذكر أثناء ترجمة الأخ غير الشقيق لمؤلّفنا اسم والدهما -أي: الأستاذ الإمام أبي منصور محمد بن الحسن (بن محمد بن إبراهيم) بن أبي أيوب الأيوبي- والذي يتبيّن من كتابنا أنه كان قد قُتل أيضًا. وورد أيضًا في ثنايا ترجمة مؤلّفنا.



وهذا الأمر يؤيد أنّ الكتاب كان ثمرةً للأعوام التي قضاها في بغداد.

وهو يُثني -مع ذلك- على أحمد بن حنبل، ويبرّئ ساحته من تهمة التّشبيه، ويُبطل ناليه (١٠٠/أ، ب). كما أنّه يهتمّ كذلك بعقائد النّجارية^(١٥)، والرّوافض، بالإضافة إلى المعتزلة (مثال: ١٠٥ أ).

(١٥) ورغم موقفه النقدي الشديد من النجارية تأثر بهم - دون أن يصرح بذلك- في بعض مسائل النّبوات، يقول في جواز ظهور المعجزة على الكذابين من عدمها [١٤٤/ب]: «مَنْ ادّعى النّبوةَ فما هانها دليلٌ يدلّ على صدقه إلا ما يظهر على يده من الفعل الناقض للعادة على وفق دعواه، فلو جاز ذلك ظهوره على يد الكاذب لما بقى دليلٌ يستدلّ به على صدق الصادق، فلذلك لا يجوزُ ظهورُ مثله على يد مَنْ يدّعي النّبوةَ كاذبًا». وهو بهذا يذهبُ مذهب طائفة النّجارية، يقول الأشعريّ في «مقالته»: «وقال قائلون: قد يجوزُ أن تظهرَ المعجزاتُ على الكذابين الذين يدّعون الإلهيةَ ولا يجوزُ أن تظهرَ على الكذابين الذين يدّعون النّبوةَ، قال: لأنّ مَنْ يدعي الإلهيةَ ففي بنيته ما يكذبه في دعواه، وليس من ادّعى النّبوةَ في بنيته ما يكذبه أنّه نبيّ، فهذا قولُ حسين النّجاريّ انظر: [الأشعري، مقالات الإسلاميين (١٢٥/٢)]. ويبدو أنّ هذه المسابرةَ ليست من قبيل الصّدفة: فالحسين النّجاريّ كان يدينُ بأبرز مقالات الصّفاتيةِ وكُنسبِ الأشعريّ، ولعلّ قُرب النّجاريّ من مقالات أهل السنّة -رغم الخلاف الواضح بينهم- هو ما استحثّ الأشاعرةَ للنّظر في آرائه ومطالعة أدبياتهم، ممّا أدّى إلى تسرّب مثل هذا الرّأي إليهم. (المترجمان)